

المستوطنات الأوربية بمعسكر وأحوازها في أوائل الاحتلال الفرنسي.

~~~~~ د. بن عتو بلبروات \*

تمهيد: تتجه الكتابة التاريخية بالجزائر في السنوات الأخيرة إلى تسليط الضوء على التاريخ المحلي من خلال تناول تاريخ منطقة معينة عبر العصور وهذا ما لاحظناه من خلال العديد من الملتقيات المنعقدة بالجزائر أو من تتبع منشورات الباحثين في التاريخ، ولعل، لهذا المنحى، فوائد علمية همة، فقد يتوصل الباحث إلى معرفة الوقائع التاريخية بدقة وتداعياتها وتفاعلها مع المحيط القطري وأثرها في الإنسان والعكس صحيح. وفي هذا المضمار ارتأينا أن نختار عينة من تاريخ معسكر وأحوازها تتعلق بالمستوطنات الأوربية التي تم ترشيحها في هذه المنطقة من طرف ضباط فرنسيين مكلفين قصد فهم تلك المعادلة التي أقرها الاحتلال الفرنسي للجزائر ومفادها أن العمل العسكري لابد من المحافظة على مكتسباته باعتماد تدابير استيطانية، ينجزها ويدونها، خبراء عسكريون ميدانيون في شكل مذكرات وتقارير، ثم تنتقل بعد تحصيلها إلى التطبيق الميداني، بعد تراجع حركات المقاومة ونقص مقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر. وقبل الغوص في موضوع المستوطنات الأوربية ينبغي أن نقدم تعريفا مختصرا للمكان المراد دراسته الذي كان يمثل أولى قلاع الأمير عبد القادر.

1- التعريف بمدينة معسكر وضواحيها وأحوازها: معسكر، مدينة عربية قديمة، تقع عند سفح المنحدر الجنوبي للسلسلة الجبلية المسماة " شارب الريح " والتي هي جزء من الأطلس التلي، وحسب الروايات المحلية، شيدت مدينة معسكر من طرف البربر على أنقاض مدينة رومانية مغمورة، ذكرها الجغرافي بطليموس وسماها فكتوريا Victoria. وعلى أرض أخرى تقع بين هضبة ركوب السماعيل وسهل غريس. ويعود أصل لفظة معسكر إلى أم عسكر أو أم العساكر أو إلى المعسكر أي المحل الذي يتجمع فيه الجنود، كما تعني من جهة أخرى أن سكانها محاربون، وهو ما يتناسب مع الاسم الروماني للمعسكر وهو كاسترانوفا Castranova.

\* أستاذ محاضر في التاريخ الحديث والمعاصر - شعبة التاريخ - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة سيدي بلعباس.

أصبحت معسكر خلال القرن الثامن عشر الميلادي عاصمة لبلييك الغرب الجزائري، ولما تحررت وهران من الأسبان على يد جيش الباي محمد الكبير<sup>(1)</sup>، سنة 1792، انتقل مقر حكم الباي إلى وهران، ومن ثمة تراجعت أهمية وسمعة معسكر. وفي 1830 لم تكن معسكر<sup>(2)</sup> سوى مدينة تحتضن مجتمعا فقيرا يتكون من المسلمين واليهود، ومنازله مترهلة في أغلبها، وقد اتخذها الأمير عبد القادر عاصمة له ومركزا لورشات الأسلحة بمختلف أنواعها ويعمل بها عدد كبير من العمال وكان ذلك في سنة 1832 لما قضى على الحامية التركية الموجودة بها.

توزع معسكر إلى أربعة أقسام متباينة هي:

- مركز المدينة ويقع على الحواف الشمالية لواد سيدي تودمان.
- ضاحية ركوب اسماعيل التي شيدها الأتراك العثمانيون خلال القرن الثامن عشر.
- ضاحية بابا علي في شمال المدينة.
- ضاحية العين البيضاء في جنوب المدينة<sup>(3)</sup>.

يحيط بمعسكر سور مربع الشكل، يجمع بين المدينة وضواحيها الثلاث وفي كل زاوية من زواياه، برج يحمل مدفعا أو مدفعين. كما يتخلل سورها بابين رئيسيين خارجيين، واحد في الغرب والآخر في الشرق، وباب آخر للنجدة يؤدي إلى واد "تودمان" الذي يخترق المدينة. وهناك ثلاث طرق توصل بين البابين من جهة وتؤدي إلى ساحتين رئيسيتين من جهة أخرى حيث المؤسسات والمعالم الرئيسية للمدينة مثل سوق الحبوب، الجامع الأعظم، الفندقان، وقصر الباي محمد الكبير الذي أصبح عبارة عن أطلال في زمن الاحتلال الفرنسي.

ولمعسكر قصبة أو قلعة، تقع في الشمال وهي معزولة عن المدينة بسور داخلي، ويوجد بها ثكنة النظاميين للأمير عبد القادر<sup>(4)</sup>. ويحيط بمعسكر المدينة؛ بساتين وجنائن تمون السكان بالخضر والفواكه، وقبائل تقصدها بأغنامها وثيرانها. كما يصل مدينة معسكر عبر قنوات طولها 3.000 متر، مياه نقية، منبعها عين مهبجورة. وتشتهر معسكر بصناعة البرنوس الأسود، كان يسوق في جميع أنحاء شمال إفريقيا لجودته وأناقته، لكن الفرنسيون خربوا هذه الصناعة بشهادة الضباط العسكريين الفرنسيين الذين كتبوا حول الموضوع<sup>(5)</sup>.

وبشأن أحواز معسكر فيمكن الإشارة إلى مرتفعات بني شقران على طريق معسكر- وهران، وإليها تنتسب قبائل بني شقران بما فيها قبائل بني مستر وبني حاسي بن عيسى وأولاد سعيد، والتي كانت مصنفة في أواخر العهد العثماني من قبل السلطة التركية العثمانية ضمن

قبائل الزمالة المخزنية. ثم منطقة سيق المشهورة بواديها الجبلي الجارف (واد سيق) الذي يشق مجراه عبر سهل سيق الخصب، وسماها الفرنسيون "سان دنيس Saint Denise" واتخذوها محطة عسكرية لتطويق مقاومة الأمير عبد القادر<sup>(6)</sup> وفي المنحدر الجنوبي للأطلس التلي المسمى "شارب الريح في اللهجة العامية" يوجد سهل غريس الذي يدل على شهرة السهل في الغراسة والخصوبة، وتسكنه قبائل الحشم المتكونة من حشم غريس، حشم الشراقة (أي حشم الجهة الشرقية)، حشم الغرابية (أي حشم الجهة الغربية) وأولاد عيسى أبو العباس<sup>(7)</sup>. ويمكن التنبيه إلى أن قبائل الحشم، كانت العضد المتين للأمير عبد القادر طوال فترة جهاده ولم ترجع إلى أرضها بسهل غريس ولم تعلن عن خضوعها للاحتلال الفرنسي إلا بعد أن أصبح الأمير أسيرا لدى الفرنسيين<sup>(8)</sup>.

أما هضبة المقطع الواقعة في غرب سهل الشلف، فهي محصورة بين وادي الهبرة في الشرق ووادي سيق في الغرب، وتفصلها عن البحر المتوسط، السهول الساحلية الضيقة، وعلى أرضها جرت معركة (المقطع) بين جيش الأمير عبد القادر وجيش الجنرال "تريزل Trézel" الذي كان أول الجنرالات الفرنسيين الذين ساروا نحو معسكر لاحتلالها سنة 1835، دون جدوى مما دفع بالحاكم العام، الماريشال كلوزيل Clauzel إلى شن حملة عسكرية أخرى على المدينة وضواحيها سنة 1836 وقد كانت حملة ناجحة إلا أن ضرورات تأمين المنطقة أمام استمرار المقاومة الشعبية تحت مظلة الأمير عبد القادر تم تأجيل الاحتلال النهائي لمعسكر وأحوازها إلى سنة 1842. وبالموازاة مع هذا التقدم العسكري الفرنسي بالمنطقة كانت الدراسات قائمة حول الاستيطان الأوربي وهو ما نأتي إلى بيانه.

2- المستوطنات الأوربية المرشحة بمعسكر وأحوازها: بأمر من الجنرال لامورسيير Lamorcière أنجز قائد المشاة "إليي Illiers" مذكرة حول مشروع الاستيطان الزراعي الأوربي بالغرب الجزائري وأنهاها بوهران في 25 ماي 1846، وأهم ما جاء فيها حول منطقة معسكر هو أن الضابط "إليي" قد عين البلديات المرشحة للاستيطان الأوربي ومؤهلات كل بلدية الطبيعية وما تحتاجه من قوة بشرية استيطانية في مرحلتها الأولى، وهو ما نوضحه كالآتي:

أ- بلدية معسكر: توقعت الدراسات العسكرية الفرنسية أن هذه المستوطنة التي تبلغ مساحتها 5.500 هكتار يمكن لها أن تستوعب 250 عائلة أوربية، علما أن هذه البلدية تمثل قمة المثلث الاستيطاني في الغرب الجزائري (مستغانم-وهران قاعدة المثلث ومعسكر قمته) كما أشارت

الدراسات أنه يتوجب الدفاع عن هذه البؤرة الاستيطانية من خلال تجميع المستوطنين في المواقع المحيطة بمعسكر، لأن هذه المدينة (معسكر) هي مركز مقاطعة وهران وتحتضن أغنى سهل وهو سهل غريس ويحيط بها مجاري مائية نقية ومفيدة جدا للاستيطان الأوربي<sup>(9)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن مدينة معسكر وضواحيها قد دخلت بعد احتلالها نهائيا سنة 1841 من طرف القوات الفرنسية ونهاية مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847 مرحلة الاستيطان الفرنسي الرسمي حيث أنجز الفرنسيون ثلاثة شوارع جديدة بالمدينة بنيانها الفرنسية الحديثة، وجمعوا بين المدينة وقصبتها والضواحي الثلاث بسور، واستوطنها الأوربيون حيث وصل عددهم سنة 1847 حسب مصادر عسكرية فرنسية إلى 1.202 أوربي؛ 698 فرنسيا، يعيشون إلى جانب 2.695 جزائري منهم 2.292 مسلما بقوا في المدينة، مجتمعون في حي أصبحت منازلها فيما بعد عبارة عن أنقاض<sup>(10)</sup>. وارتفع عدد المستوطنين الأوربيين وعدد السكان الجزائريين في خمسينيات القرن التاسع عشر ليصل إلى 2.000 مستوطن و 1.200 عسكري و 5.000 أو 6.000 جزائري<sup>(11)</sup>.

ولم تنج معسكر من سياسة التنصير ومحاربة الإسلام، إذ لم يبق بها سوى مسجد واحد بعد تحويل مسجد العين البيضاء الذي كان يؤدي فيه الأمير عبد القادر صلاته، إلى مستودع للتجهيزات العسكرية، وأيضا تحويل مسجد آخر إلى كنيسة كاثوليكية<sup>(12)</sup>.

ب- بلدية الكرط: تبعد هذه المستوطنة عن مدينة معسكر بـ 1.200 متر من جهة الغرب، وتوجد بها آثار قرية قديمة كانت تسمى الكرط، مياهها نقية وغير مستغلة مما يجعلها موقعا ملائما لتوطين الأوربيين. كما يمكن لـ 100 عائلة أوربية أن تستقر بالكرط بكل سهولة خصوصا بعد أن ارتحلت عنها قبيلة الحشم الغرابة.

يحيط بالكرط مساحات واسعة سواء سهل غريس حيث التربة الخصبة أو الجبل حيث كان للبايات العثمانيين بساين رائعة، وكفي الإدارة الفرنسية أن تمنح لكل عائلة أوربية 15 هكتارا، كما يمكن استغلال مياه المستوطنة للسقي الزراعي ونظرا لأهميتها يتوجب على فرنسا تحصينها<sup>(13)</sup>.

ج- بلدية رأس العين: يحيط بمدينة معسكر قرى بني مخلف، الكرط، وسيدي دحو، ويمكن لهم احتواء أكبر تجمع بشري استيطاني في الغرب الجزائري، وبين هذه القرى تظهر أهمية رأس العين حيث تخرق مياهها بعمية مياه عين السلطان، بلدية معسكر، وتقع على الطريق المؤدية إلى

مستغاثم، وهذا ما يشجع على توطين 100 عائلة أوربية<sup>(14)</sup>. ومثلها مثل بلدية سيدي دحو تقع مستوطنة رأس العين في الجبل ويسهل الولوج إليها ويتوجب على سكانها الأوربيين إنتاج الكروم والتين وكافة الأشجار المثمرة التي تتلاءم مع التربة الخفيفة بغض النظر عن إنتاج القمح والشعير.

د- بلدية بني يخلف: تبلغ مساحتها 3.600 هكتار ويمكن لها أن تستوعب 150 عائلة أوربية، وهي تبعد عن مدينة معسكر بـ 2.500 متر ناحية الشرق، على ضفاف سهل غريس، واشتهرت بلدية بني يخلف ببساتينها الواسعة وكانت أراضيها ملكا لقبيلة الحشم التي ناصرت ثورة الأمير عبد القادر، ولما انتهت المقاومة وضعفت القبيلة، استحوذ المستوطنون الأوربيون على أراضيها، لذا عمدت الإدارة الفرنسية إلى استحداث قرية بني يخلف بـ 150 عائلة أوربية لاستغلال 3.600 هكتار على أن يكون النشاط الفلاحي على رأس اهتمامات سكان البلدية، فيمكنهم أن ينتجوا على الحواف الجنوبية للجبل، الكروم وكل الأشجار المثمرة المزروعة في أوربا. وتنبع مياه واد بني يخلف من الجبل وتتجه نحو البساتين، على أن لا تترك هذه المياه، تتغلغل إلى سهل غريس كما يجب تحصين قرية بني يخلف<sup>(15)</sup>.

هـ- بلدية سيدي دحو: تقع بلدية سيدي دحو على بعد 2.000 متر في شمال وشمال شرق مدينة معسكر، وبهذه المنطقة مياه نقية وغير مستغلة وأحواض خصبة، ومنابع هذه المياه توجد بالمكان المسمى المرباط سيدي دحو، وهذا الموقع يدعم كثيرا التجمع الأوربي الاستيطاني بهذه المنطقة ويمكن جلب 200 عائلة لاستغلال مساحة قدرها 2.500 هكتار. ورأى "إلي" إمكانية منح كل عائلة أوربية 24 أو 25 هكتارا لأن الأراضي بهذه المنطقة قليلة الخصوبة مقارنة بأراضي سهل غريس وحتى السقي الزراعي بما غير ممكن، لكن تقوقع مياه سيدي دحو، يساعد المستوطنين الأوربيين على نصب المطاحن مثلما فعل الأهالي رغم إهمالهم وبعدهم عن التصنيع، كما يجب تحصين بلدية سيدي دحو بسور لصد هجمات القبائل الجزائرية، وضواحيها ملائمة لإنتاج الكروم والتين<sup>(16)</sup>.

على أية حال يشير الضابط الفرنسي "إلي" أن بمنطقة معسكر ثلاث مراكز استيطانية هي بلدية سيدي دحو، وبلدية بني يخلف، وبلدية معسكر التي تجمع ثلاث بلديات هي الكرط ورأس العين وضواحي معسكر، وفي وسط هذه المستوطنات كان من الضروري ترك مساحة تقدر بـ 80.000 هكتار بدون استغلال يسكنها الأهالي الجزائريين بصورة مؤقتة وهذا يعني أن

سياسة الاستيطان لم تبعد كل الجزائريين خارج نطاق الاستيطان بل أبقّت على بعض القبائل المتعاونة لتكون في خدمة المستوطنين الأوروبيين<sup>(17)</sup>.

و- منطقة سيق وبلدياتها (سان دنيس والاتحاد الفلاحي): تطرق الضابط دي مرتيمبراي De Martimprey في تقريره أن أراضي سيق الواقعة بين وهران ومعسكر، تشتهر بخصوبة أراضيها، يحدها جنوبا خط الري الأعلى الذي يستمد مياهه من السد الأعلى وقد أنشأ الأتراك سدا آخر في جنوب المكان المسمى الأربعاء، وحينها تركوا الأراضي التي يسقيها السد الأعلى بفعل الجفاف؛ فقد وجد الفرنسيون القروي (الأكواخ) بالأراضي المحاذية للسد الثاني، واقترح أن هذه المنطقة يمكن استغلالها في توسيع بلدية سان دنيس. وقد تمكن الفرنسيون من توفير الري لما يقارب 4.000 هكتار، وتقوم قبيلة الطعالية بفلاحة أرض سيق، لفائدة الدولة الفرنسية<sup>(18)</sup>.

وفي شرق أرض سيق تستقر قبيلة الزمالة، التي استفادت منها في عهد الأتراك العثمانيين حيث منح الباي حسن-آخر بايات وهران- هذه الأرض لثلاث شخصيات هامة في قبيلة الزمالة، وعلى رأسهم المسمى "مرسلي" فكانت لهم بعض الخيام قصد استغلالها في أداء الأعمال الفلاحية، وبقيت بعد سقوط النظام التركي، وهم يستغلون هذه الأرض لحسابهم الخاص إلى أن طردتهم منها السلطات الفرنسية. وتقدر مساحة أراضي الزمالة بسيق، 600 هكتار تقريبا، وترتبتها ذات خصوبة عالية.

وفي غرب سيق تستقر قبيلة "بن عائشة"، التي تشتت في أوائل الاحتلال الفرنسي ولم يجد الفرنسيون سوى أربع خيام بهذه الأرض التي تتميز بمرتفعاتها في الجنوب، نقيض شملها المنبسط الملائم للاستيطان، وتقدر مساحة أرض "بن عائشة" بـ 250 هكتار. أما قبيلة "الطعالية" فتقدر بـ 150 هكتار، وهي مدرجة ضمن مخطط الاستيطان الفرنسي، وما يتعلق بقبيلة "العيد"، فتقدر خيامهم بـ 116 خيمة التي تستغل 350 هكتار، ويمكن ترحيل هذه القبيلة إلى أرض "ساحيلية" على الضفة اليمنى "لتليالات" المقدر مساحتها بـ 1.600 هكتار<sup>(19)</sup>.

وفي جنوب "الأربعاء" على مسافة مرحلة واحدة<sup>(20)</sup> أنجز أعيان عائلة "الحبيب بوعلام"، 12 سدا، تحتزن ما فاض من الوادي، و 08 منها تسقي ضفتي سيق، يمينا وشمالا، بدون قنوات، ومن أجل توطين هذه الأرض بالأوروبيين يجب ترحيل دواوير "العالمية"، نحو أراضي "بن بقة"، القريبة من سيدي "عبد القادر بوعجمي"، على طريق أرزيو- سيق، ومساحتها 60 هكتار،

وكان "أولاد سيدي منصور" يقومون بفلاحتها، إلى أن تحولت في عهد الفرنسيين إلى أراض مكتراة<sup>(21)</sup>.

أما الضابط "إلي" فقد تناول قرية وبلدية سان دنيس بسبق وكذا قرية وبلدية الاتحاد الفلاحي الإفريقي المجاورة لها والنجوع الأوربية في ضواحي البلديتان والقرى الموزعة على طريق وهران ومعسكر من جهة وعلى طريق مستغانم ومعسكر من جهة أخرى، وقد بين الضابط الفرنسي ذلك كما يلي:

و-1- بلدية سان دنيس: كتب الضابط "إلي" أن مستقبل قرية سان دنيس بسبق وكذا قرية الاتحاد الفلاحي، قد يتوقف على حجم المياه التي يخزنها سد سيق وعلى مدى فعالية عملية الري، وذكر الضابط أنه لا تطرح أية مخاوف بشأن السد لكن عادة ما يقوم الأهالي بتحويل مسار مياه واد المكورة الذي يخترق منطقة سيق من أجل سقي أراضيهم الزراعية، وعندها تفقد بلدية وقرية سان دنيس إمكانية سقي أراضيها، ويمكن أن يدفع بالمستوطنين الأوربيين إلى البحث عن مياه الشرب لأنفسهم ولمواشيهم.

وعليه اقترح الضابط "إلي" تشديد الحراسة على مجرى واد مكورة ولا يتحقق ذلك إلا باحتلال وتوطين منطقة سيدي بلعباس التي يعبرها واد مكورة وترتبط بمعسكر بحيث هما المنطقتان الاستراتيجيتان اللتان يتوقف عليهما امتداد وانتشار الاستيطان الأوربي بالغرب الجزائري، وحذر الضابط "إلي" أنه بدون معسكر وسيدي بلعباس، يبقى الكولون الأوربيون بدون مأمن، تهددهم الأخطار؛ وبماتين المنطقتين يصبح كل شيء ممكن وسهل المنال، فهما مدينتان متموقعتان في قمة المثلث الاستيطاني ناحية المناطق الداخلية، وطرقهما مع مستغانم ووهران تشهد حركة نشيطة، وبين هذه المدن سهل خصب ومياه متوفرة وري فعال<sup>(22)</sup>.

وتعتبر قرية سان دنيس بسبق من أهم المواقع في الغرب الجزائري المؤهلة لاستقبال روافد بشرية مسيحية، وقد تم إصدار قرار في 20 جوان 1845 وتم بموجبه توطين 100 عائلة أوربية بسان دنيس ويمكن أن يرتفع العدد إلى 350 عائلة، موزعين على صفتي واد مكورة، وهؤلاء يمكن لهم ممارسة العمل الزراعي بعيدا عن منازلهم<sup>(23)</sup>. ورأى الضابط "إلي" أن سان دنيس يمكن لها أن تتطور من قرية إلى مدينة صغيرة لتشكل مع ضواحيها بلدية من 400 عائلة أوربية.

ولم يخف "إلي" مخاوفه حيث قال أن ما يشغل بال القادة العسكريين هو كيفية حماية المستوطنين الأوربيين، ثم قابل هذه المخاوف بما يغري المستوطنين للعزم على الهجرة إلى منطقة

سيق وسهلها الخصب، حيث كتب أنه يمكن للسلطات الفرنسية أن تمنح كل عائلة مستوطنة بسان دنيس ما متوسطه 14 هكتارا، مع تخصيص 10.000 هكتار للبلديتان معا (سان دنيس والاتحاد الفلاحي)<sup>(24)</sup>.

و-2: نجوع بلدية سان دنيس بسيق:

\*نجع السد: وجد الفرنسيون بسيق بساتين رائعة ورائقة المنظر على بعد بضعة أمتار من السد كانت في زمن الحكم التركي تحت تصرف البايات الذين تداولوا على بابليك الغرب الجزائري، ولاحظ الضابط "إلي" أنها كانت تستغل بعناية من قبل هؤلاء.

كما وجد الفرنسيون بعين المكان آثار طاحونات قديمة، ورأى الضابط الفرنسي أنه لا بد من إعادة بنائها في يوم من الأيام، واقترح في تقريره أن قادة فرنسا مجبرين على ترك عدد من المستوطنين الأوروبيين للاستقرار قرب السد، قدر عددهم بـ20 عائلة ويتمركزون في ضفتي سيق، لكنهم يحتاجون إلى حماية الفرق العسكرية الفرنسية لهم، كما شدد من جهة على أن يكون المستوطنون بنجع السد، يمتلكون القوة للدفاع عن أنفسهم خلف سور، يسمح النجع في انتظار وصول النجدة العسكرية من بلدية سان دنيس التي تبعد عن النجع المذكور بثلاث كيلومترات<sup>(25)</sup>.

\*نجع عكاز: فكر الفرنسيون في استحداث تجمع بشري أوربي حول قناة الري للصفة اليسرى لسبق بالمكان المسمى عكاز، ويقع هذا النجع على طريق وهران - معسكر، على بعد 6.000 متر من بلدية سان دنيس، وهو يساعد على تأمين حركة المسافرين. ويمكن لهذه النجوع أن تتلقى الدعم والنجدة من سان دنيس لأنها تشكل ضواحيها أما إذا كان عدد المستوطنين الأوروبيين بهذه النجوع مرتفعا فلا حاجة للدعم من بلدية سان دنيس. ويمكن أن يستقر بنجع عكاز بسيق 30 عائلة أوربية<sup>(26)</sup>.

و-3: بلدية الاتحاد الفلاحي بسيق: ذكر ضابط الجيش الفرنسي "إلي" أن أعضاء الاتحاد الفلاحي الأفريقي - وهم كولون أحرار - قد طالبوا السلطات الفرنسية بتأسيس مركز استيطاني يتكون من 300 عائلة أوربية، في الضفة اليمنى لسبق، على طريق وهران - معسكر، يبعد عن وادي مكرة بـ2.000 متر، وتكمن مشكلة هذا الرافد البشري الأوربي بقرية الاتحاد الفلاحي أنه يفتقر للمياه، لكن يمكن للكولون أن يتفاعلوا مع الخصوصيات الطبيعية لأرض

سيق، كما يتسنى لقرية الاتحاد الفلاحي أن تتحول إلى بلدية وتلقى التحفيزات من الجهات الرسمية<sup>(27)</sup>. وللعلم كان تأسيس بلدية الاتحاد الفلاحي في نهاية سنة 1845 من طرف جماعة شارل فوريه الليونيين والذين ينتسب بعضهم إلى المذهب الفكري بفرنسا المسمى المذهب السان سيموني، وكان أغلب أعضاء الاتحاد الفلاحي من مدينة بيزانسون، مسقط رأس شارل فوريه، وكانت مهمتهم جمع رؤوس الأموال في أوروبا الغربية لإنشاء مؤسسات اقتصادية تتعامل بالأسهم. ولم يستفد الكولون الأحرار المساهمون، من الاتحاد الفلاحي الأفريقي، إلا من العلاج الطبي والدواء المجاني وتعليم الأطفال وضمان منحة التقاعد سواء بعد فترة طويلة من العمل أو بعد الإصابة بعجز مهني<sup>(28)</sup>.

ز- قرى الطرقات بمنطقة سيق: اهتم الفرنسيون - حسب مذكرة الضابط إليي - بالاستيطان القائم على تجميع عائلات المزارعين الأوربيين حول معسكر، مستغانم، وهران وسان ديس بسيق، وتركوا الأهالي في المناطق الداخلية للمثلث الاستيطاني مع حضور الكولون بهذه المناطق مثل الضفة اليمنى للهريرة والضفة اليسرى لسيق. وقصد استيعاب 5.000 مستوطن أوربي لابد من استحداث قرى على الخطوط الرئيسية داخل المثلث الاستيطاني<sup>(29)</sup>.

وتشكل كل قرية، بلدية تزرع في وسط القبائل الجزائرية ويجب أن تكون هذه القرى في مستوى التصدي لهجمات فرسان القبائل المعادية لفرنسا، كما نلفت الانتباه إلى أن قرى الطرقات داخل المثلث الاستيطاني تؤدي دورين أساسيين فهي من جهة تعتبر مستودعا للمؤونة الغذائية للجيش الفرنسي ولعلف الخيول ومن جهة أخرى مأوى للمسافرين<sup>(30)</sup>. ويمكن تسمية هذه القرى الاستيطانية كما يلي:

ز-1: قرية وبلدية وادي الحمام: بادرت أربع عائلات أوربية بالاستقرار بالضفة اليمنى لوادي الحمام قرب جسر خشبي، على طريق وهران - معسكر، التي تخترق الواد، وكان المستوطنون محاطون بالأهالي أثناء انتفاضة 1845، وقد قاوم هؤلاء المستوطنون إلى أن وصلتهم النجدة من طرف اللواء الذي يقوده الجنرال "جيرى Géry" وبعدها صاروا يوفرون المأوى للمسافرين لقضاء الليل، ويوفرون العلف لخيولهم وخيول العساكر كما امتلكوا مؤونة غذائية كبيرة للفرق العسكرية التي تتراد هذه الطريق<sup>(31)</sup>.

وتمتاز منطقة وادي الحمام بخصوبة تربتها، وهي تصلح لزراعة القمح ويمكن أن تستوعب 150 عائلة أوربية<sup>(32)</sup>. وفي 11 ماي 1851 وقع نابليون الثالث Napoléon III العقد

الرسمي لميلاد مركز وادي الحمام على بعد 20 كيلومتر شمال غربي مدينة معسكر، لاستقبال 54 عائلة أوروبية تستفيد من 700 هكتار، وابتداء من عام 1851 شرع العسكريون في استغلال مياه مجرى وادي الحمام في الشرب وفي سقي المحاصيل الزراعية؛ وفيما بين 1852-1855 تم بناء سد القيطنة الذي تبلغ قدرة تخزينه 300.000 متر مكعب، الأمر الذي يسمح بسقي 450 هكتاراً، ومع هذا فإن المهاجرين الأوربيين الذين وصلوا إلى وادي الحمام في 12 يناير 1852 قد رحلوا جميعاً مع حلول شهر فبراير 1853 بسبب تعطل مصالح الهندسة العسكرية في إنجازها للمباني السكنية وهيئة الأراضي الزراعية، وهذا على الرغم من تسليم مصالح الأملاك العامة مساحة زراعية قدرها 1.646 هكتاراً إلى قائد القسم العسكري بوهرا في 02 جويلية 1853 من ضمن أملاك البايك التي تمت مصادرتها في سنة 1841 ليسد بها حاجات المستوطنين بوادي الحمام.

وأمام هذه التطورات الخطيرة التي تضر بالاستيطان الرسمي بوادي الحمام ضاعفت إدارة الاحتلال من مجهوداتها لربط المهاجرين الأوربيين بمركز وادي الحمام من خلال توفير قطع من الأراضي معدة للسكن وكذا أراضي زراعية بالجمان مع إيصال المياه للحقول الزراعية، وكانت النتيجة إيجابية بحيث استقبل مركز وادي الحمام في نهاية 1853 عدد من المستوطنين بلغ عددهم 14 مستوطناً بين رجال ونساء وأطفال، ليرتفع العدد إلى 164 مهاجراً سنة 1854، واستمر تدفق المهاجرين إلى أن عازمت الإدارة الفرنسية على دراسة عملية توسيع مركز وادي الحمام ليصدر مرسوماً في 22 ماي 1885 ينص على تحويل بلدية وادي الحمام المختلطة إلى بلدية كاملة الصلاحيات ومنحها اسم "Dublineau" وأضيف للبلدية مساحة قدرت بـ 60670 هكتاراً، وبني المقر الجديد للبلدية وفق مرسوم 29 نوفمبر 1888 وكذا الكنيسة وتجديد قنوات توزيع الماء في سنة 1890<sup>(33)</sup>.

ز-2: قرية وبلدية القصيبة: تقع قرية وبلدية القصيبة قرب بني شغران على الطريق المستقيمة الواصلة بين معسكر ومستغانم، والمفتوحة على المسالك المؤدية إلى جبال بني شغران التي تتوغل نحو الشرق، وتم استحداث قرية القصيبة بـ 100 عائلة أوروبية مستوطنة وأراضيها صالحة لزراعة القمح شأنها شأن قرية وادي الحمام<sup>(34)</sup>.

3- ربط بلديات معسكر بما يجاورها: رأى الماريشال بيجو Bugeaud أن الهيمنة الفرنسية على البلاد الجزائرية بمختلف أقاليمها ومناطقها لا يمكنها أن تترسخ إلا بمسألة القبائل الجزائرية

من جهة وربط المدن ببعضها البعض من خلال فتح الطرقات مما يسهل تحركات الجيش من جهة والمؤونة من جهة أخرى، فمثلاً يتم ربط مستغانم بمعسكر ووهران بتلمسان بطرقات رئيسية تمكن الفرنسيين من السيطرة على المناطق الداخلية<sup>(35)</sup>.

وذكر الضابط الفرنسي "إلي" أنه من الضروري ربط المستوطنات الأوربية بالغرب الجزائري وتحديد المستوطنات المثلث الاستيطاني وقاعدته من وهران إلى مستغانم وقمته بمعسكر، مع بعضها البعض لأن هذا المثلث قد حظي بالأمن التام وأراضيه خصبة ومياهه متوفرة ومناخه معتدل مما يشجع على جلب المزارعين الأوربيين لتوطين المنطقة. ولعل الطرقات الرئيسية تلعب دوراً استراتيجياً وتجارياً مهماً وتصب في سياسة الدولة الفرنسية الاستيطانية، وعلى طولها يمكن تأسيس قرى تكون بمثابة مراكز دعم لوجيستيكي للجيش الفرنسي من جهة وللمستوطنين من جهة أخرى، ويمكن تسمية هذه الطرق كالاتي:

\* طريق وهران - تلمسان إلى غاية مسرغين ومسافتها ثلاث مراحل.

\* طريق وهران - سيدي بلعباس ومسافتها تسعة عشر مرحلة.

\* طريق وهران - معسكر ومسافتها أربع وعشرون مرحلة. وتنتشر على طولها القرى التالية: قرية وادي الحمام - قرية الاتحاد الفلاحي - نجع عكاز - قرية تليلات - قرية الكرمة - قرية السانيا.

\* طريق وهران - مستغانم ومسافتها تسعة عشر مرحلة.

\* طريق مستغانم - معسكر إلى غاية ماسرة، وهي طريق ملتوية ومسافتها ثلاث مراحل، وقراها هي: قرية ماسرة، وقرية مجاهر.

\* طريق مستغانم - معسكر ويعبر حاسي ماماش، عين النويسي، القصبيات عند بني شقران، ودوار رأس العين، ومسافتها خمسة عشر مرحلة، وهذه الطريق مستقيمة ويرتادها المشاة والفرسان والقوافل العربية لكنها غير صالحة للعربات ورغم ذلك تحتفظ بأهميتها ويتوجب على الفرنسيين العناية بها حسب ما أوصى به الضابط إلي<sup>(36)</sup>.

\* طريق وهران - أرزيو ومسافتها تسعة مراحل، وتعتبر هذه الطريق بئر الجير، قديل، المفسوخ، ومولاي العقون.

\* طريق أرزيو - مستغانم ومسافتها إحدى عشر مرحلة، وتعتبر بطيوة وسيديا.

\*طريق أرزيو - سان دنيس بسبق ومسافتها إحدى عشر مرحلة وتعبر حاسي حمود وحاسي بوعلام<sup>(37)</sup>.

**الخاتمة:** يجدر بنا التنبيه إلى أن الجيش الفرنسي الاستعماري قد حمل في أحشائه خبراء عسكريون درسوا الميدان الجزائري بما فيه أرض معسكر وضواحيها وأحوازاها من الناحية التضاريسية والمناخية واستطاعوا ترشيح الأراضي التي تفيد المستوطنين الأوروبيين الذين عولت عليهم الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الحفاظ على ما ينجزه الجيش الفرنسي من انتصارات ضد المقاومة الشعبية الجزائرية التي وجدت نفسها أمام عدو منظم ومدرب.

#### الهوامش:

- (1) الباي محمد الكبير هو محمد بن عثمان الكردي-باي التيزي- ولد في ثلاثينيات القرن الثامن عشر وتوفي سنة 1797م. لقيه الداوي حسن بالكبير عقب تحريره لوهراو والمرسى الكبير عام 1792م، وهذا التحرير هو الثاني في تاريخ وهران الحديث لأن التحرير الأول كان في عام 1708م على يد الداوي محمد بكداش والباي مصطفى بوشلاغم والوزير حسن أوزن.
- (2) سكت المصادر العربية عن تاريخ معسكر بين 1792-1830 ويفترض المؤرخون أن ذلك يعود إلى انتقال الباي إلى وهران وهو الذي كان يأمر بتدوين الحوادث التاريخية أو الاضطرابات التي شهدها المنطقة وتأثيراتها السلبية على الحياة الثقافية.
- (3) Rozet et Carrette, *L'univers ou Histoire et Description de tous les peuples de leurs religions, mœurs, coutumes, etc.* Paris, Fimin Didot Frères, Editeurs, 1850, p: 125.
- (4) الأمير عبد القادر ولد محي الدين شيخ زاوية القيطنة بضواحي معسكر، ولد سنة 1808م، وبوع بالإمارة عام 1832، وعلى إثرها قاد المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1847م حيث سلم السلاح ونقل إلى باريس كأسير حرب، بين 1848-1851، ثم نفي إلى دمشق إلى أن وافته المنية سنة 1883م. ترك الأمير عبد القادر إرثا تاريخيا لا يزال يجلب انتباه الباحثين والمفكرين من داخل الجزائر وخارجها.
- (5) Rozet et Carrette, op, cit, p: 125.
- (6) هاينريش، فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا. ترجمة: أبو العبد دودو، الجزائر، 1979. الجزء الثاني، ص: 76.
- (7) Esterhazy, W.M, *De la Domination Turque dans l'ancienne régence D'Alger*, librairie de charles gosselin ; Paris, 1840, P: 268.
- (8) Lespinasse, E. « Notice sur le Hachem de Mascara ». In *Revue Africaine*, n°21, Année 1877, pp: 151.
- (9) De Lamorcière et Bedeau, *Projets de colonisation pour les provinces d'Oran et de Constantine*. Imprimerie Royale, Paris, p: 135. (10) Rozet et Carrette. Op, cit, p: 16.
- (11) هاينريش، فون مالتسان. المصدر السابق، ص: 74-75. (12) المصدر نفسه، ص: 74.
- (13) De Lamorcière et Bedeau. Op, cit, p: 136. (14) Ibid, p: 137. (15) Ibid, pp: 137-138.
- (16) Ibid, p: 139. (17) Ibid, p: 152. (18) Ibid, p: 76. (19) Ibid, p: 77.
- (20) مسافة مرحلة واحدة هي مسافة ساعة واحدة على ظهر الخيل.
- (21) De Lamorcière et Bedeau. Op, cit, p: 78. (22) Ibid, p: 131. (23) Ibid, p: 132.
- (24) Ibid, p: 133. (25) Ibid, p: 134. (26) Ibid, p: 135. (27) Ibid, p: 133.
- (28) Charles-andré, Julien, *Histoire de L'Algérie contemporaine 1827-1871*. Edition P.U.F, Paris, 1964, p: 247. (29) De Lamorcière et Bedeau. Op, cit, p: 140.
- (30) Ibid, p: 141. (31) Idem. (32) Ibid, p: 142.
- (33) بن داغدة، عدة. الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962. طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، 2008، الجزء الأول، ص: 59-64.
- (34) De Lamorcière et Bedeau, op, cit, p: 143. (35) Capitaine, Froelicher. *Trois Colonisateurs*. Henri Charles-Lavauzelle, Paris, 1902. p: 65. (36) De Lamorcière et Bedeau, op, cit, p: 147.
- (37) Ibid, p: 148.

**ABSTRACT:** the European localities in Mascara and around for the beginning of the french colonization.

Sheds article highlights the territory candidate to be settlements European in Mascara and around to prepare military officers Frenchmen their composition and experience in engineering and geography in order to achieve the strategic goal is to ensure the achievements of the French Army of the gains of a military region mentioned and the consolidation of the French occupation of Algeria, and then we can say that no military expansion without human settlement and vice versa .